University of Tehran

Arabic Language and Literature

Home Page: https://jal-lq.ut.ac.ir

Online ISSN: 2423-6187

The Image of the Other Jewish in "AHMAD MATAR" Poem, An Imagologie Study

Sadeq Fathi Dehkordi[1*] | Faysal Sayyahi[2]

1. Corresponding Author, Department of Arabic language and literature, Al-Farabi Complex of Tehran University, Qom, Iran. Email: s.fathi.d@ut.ac.ir
2. Department of Arabic language and literature, Al-Farabi complex of Tehran University, qom, Iran. Email: feysal.sayahi@ut.ac.ir

ARTICLE INFO

Article type:
Research Article

Article History:
Received April 09, 2021
Revised August 08, 2021
Accepted August 25, 2021

Keywords:
Ahmad Mattar,
Ego,
Jewish,
negative image,
positive image,
the other.

ABSTRACT

Ego's relationship with the other is an interactive non-specific relationship, because it's an extracted image from the self-perspectives that can be painted into several shapes according to the stimulations which the feeling sends in sensory or non-sensory way while attacking the other, so the image of the other is a type of a tendency to the oneself and the challenges that Ego's identity faces when crashing with the other, both ego and other are sending oscillations to the receiver establishing some idea or to proving his existence, because the study of the other image is non-sensory statement to the core of the stricken ego, these research have spread from France in a attire of (Imagologie) that focused its efforts on the artistic and literary aspects to the image of foreign people in national literature which consider one of the branches of comparative literature, that study the points of convergence between the different kinds languages of literature and its historical connections, also what she is affecting or has an impact on it. That's why this study that searched for the other Jewish image from Ahmad Matter perspective and how this image was demonstrated and the motivations that have motivated him, it used the descriptive-analytical methodology to the purpose of reaching its results that refer to the obligation being overwhelmed by the negative image over the positive one in both pronunciation and connotation. So, the other Jewish appeared in several forms, a disgraced image that appeared in miniaturization of words and dissonant of function and an image of a murderer wants to destroy Ego and an image of furious enemy wants to force space-time with sultan Ego also an image of seditious absorption without forgetting the positive image that is showing in religious and historic heritage.

Cite this article: Fathi Dehkordi, S., Sayyahi, F. (2023). The Image of the Other Jewish in "AHMAD MATAR" Poem, An Imagologie Study. *Arabic Language and Literature*. 19 (1), 51-67.
Doi: 10.22059/JAL-LQ.2021.321734.1153

© The Author(s).
Publisher: University of Tehran Press.
DOI: http//doi.org/10.22059/JAL-LQ.2021.321734.1153

جامعة طهران

مجلة اللغة العربية وآدابها

موقع المجله: https://jal-lq.ut.ac.ir

الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: ٦١٨٧-٢٤٢٣

صورة الآخر اليهودي في شعر "أحمد مطر" دراسة صورولوجية

صادق فتحي دهكردي[١*] | فيصل سياحي[٢]

١ . الكاتب المسؤول ، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران ، فرديس الفارابي ، قم ، إيران. البريد الإلكتروني: s.fathi.d@ut.ac.ir

٢ . قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران ، فرديس الفارابي ، قم ، إيران. البريد الإلكتروني: feysal.sayahi@ut.ac.ir

اطلاعات مقاله

نوع مقاله:
محكمة

تاريخهای مقاله:
تأريخ الاستلام: ٢٠٢١/٠٤/٠٩
تأريخ المراجعة: ٢٠٢١/٠٨/٠٨
تأريخ القبول: ٢٠٢١/٠٨/٢٥
تأريخ النشر: ٢٠٢٣/٠٣/١٤

الكلمات الرئيسة:
الآخر ،
الأنا ،
اليهودي ،
صورة سلبية ،
صورة إيجابية ،
أحمد مطر.

الملخص

إن علاقة الأنا مع الآخر علاقة متفاعلة وغير محددة لأنها صورة منتزعة من الرؤى الذاتية التي ترسم بأشكال مختلفة بحسب المحفزات التي يبعثها الإحساس عند مواجهة الآخر ، فصورة الآخر هي حالة التوجه إلى الذات والتحديات التي تواجهها هوية الأنا عند اصطدامها بالآخر ، فكل من الأنا والآخر يرسل ذبذبات نحو المتلقي لإرساء فكرة أو إثبات وجود له ، فهي لاشعوريا بيان للأنا الكامن ، حيث انطلقت هذه البحوث من فرنسا في زي الصورولوجية التي ركزت جهودها على الجوانب الفنية والأدبية لصور الشعوب الأجنبية في الآداب القومية وهي إحدي فروع الأدب المقارن الذي يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة وصلاتها على مدى التاريخ وما لها من تأثير أو تأثر. فهذه الورقة التي بحثت صورة الآخر اليهودي من منظور أحمد مطر وكيفية تجلي تلك الصورة والبواعث التي حفّزته على رسم صورة الآخر اليهودي ، تستخدم المنهج الوصفي-التحليلي مطية لبلوغ نتائجها التي تشير إلى طغيان الصورة السلبية على الصورة الإيجابية في اللفظ والمدلول ، فظهر الآخر اليهودي في صور شتى؛ منها الصورة المحقرة التي برزت في تصغير الألفاظ وتنكير الدوال وصورة قاتل غايته تدمير الأنا وصورة عدو غاصب يريد غصب الزمان والمكان مع السلطان وصور فتنة في حالة استغراقية دون أن ينسى الصورة الإيجابية التي ظهرت من خلال الموروث التاريخي والديني للآخر اليهودي.

العنوان: فتحي دهكردي ، صادق؛ سياحي ، فيصل (٢٠٢٣). صورة الآخر اليهودي في شعر "أحمد مطر" دراسة صورولوجية. *مجلة اللغة العربية وآدابها* ، ١٩ (١) ٥١-٦٧ .
DOI: http//doi.org/10.22059/JAL-LQ.2021.321734.1153

© المؤلفون.
الناشر: دار جامعة طهران للنشر.

DOI: http//doi.org/10.22059/JAL-LQ.2021.321734.1153

مقدمة

إن صورة العالم الإسلامي في الظروف الراهنة مأساوية ، لإنها امتداداً لسنوات بدأت بوَعْدُ بَلفُور ١٩١٧م ، وفي عام ١٩٤٨م فاقمت القوى الكبرى الأمور على الساحة الشامية ؛ حيث كانت البداية من بريطانيا ،ثم الولايات المتحدة الأمريكية ،فبرز الكيان الصهيوني وظاهرة "رؤيا الدولة" بيد الأب الروحي للدولة اليهودية ووالد الصهيونية السياسية الحديثة ، "تيودور هرتزل "(١٨٦٠-١٩٠٤) ، فشكل المنظمة الصهيونية وشجع الهجرة اليهودية إلى فلسطين في محاولة لتشكيل دولة يهودية. فقامت هذه الدولة على أكتاف الشعب الفلسطيني والأرضي الإسلامية ونبت عودها فأصبحت نعومة أظافرها كالصلب بدعم من الآخر الغربي ، فقامت حروب وانتفاضات ونكبات مع نكسات و«شقت تيارات فكرية خاصة بها استوعب فيها ماكان سائدا في العالم العربي والتزمت شكلا مميزا هو النضال المسلح لاستعادة الأرض والوطن»(المعلوش ،لا :٦٩). لكن اليد العليا لصالح الآخر اليهودي ، فرسم صورته قبال الفلسطيني والمسلم وعانت الأمة الإسلامية والعربية ، فجَرت دماء الشهداء وفجّرت عيون الشعر وأقلام الأدباء مشهرة سيوفها تجاه الآخر اليهودي ، راسمة صورته بشتى أشكالها في جميع المجلات الشعرية والنثرية في الوطن العربي والعالم الإسلامي ، لكن الشوفينية الصهيونية المدججة بأنواع السلاح ارتكتب مجازر وغيرت خطوط الخارطة الفلسطينية فحفزت هذه البواعث أصحاب الفكر والطبقة المثقفة أن يتكاتفوا مع المناضلين في رسم صورة اليهودي على خارطة الفكر العالمي ، فكل مفكر وظف تقنيات في مجال فنه شعرا أم نثرا لهذه المهمة ، و"أحمد مطر" بما أنه شاعر مناضل ويحمل في طيات فكره همّ الإنسانية عامة والقضية الفلسطينية خاصة ، لن يتخلف عن قافلة الشهداء والشعراء ،فلم يقف مكتوف الأيدي قبال تلك المؤامرات والمجازر المرتكبة بحق الفلسطينيين ، فأبى أن يطأطأ رأسه أمام ظلم السلطان في وطنه حتى نفي من بلد إلى آخر ، فكيف يصمت أمام تحديات ومجازر الآخر الصهيوني؟! فانعكست هذه الصورة على شعره خاصة في لافتاته ، فرسم صورة للآخر اليهودي ببنات الشفة مصورا لنا التعسف والظلم واللاإنسانيته على جبين القرطاس لأجل هذا حاولنا في هذه الورقة التي وظفت المنهج الوصفي-التحليلي مطية للكشف عن تلك الصورة ، ومجيبة عن الأسئلة التالية:

١.كيف رسم أحمد مطر صورة الآخر اليهودي؟

٢.ما هي الحوافز التي أثرت على تجلي هذه الصورة؟

فرضيات البحث

١. برزت صورة اليهودي في إنتاج أحمد مطر سلبيه ومشوهة وفي بعض القصائد محقرة تضاهي بعض الحيوانات إضافة إلى صورة عدو غاصب وفتنة وصورة قاتل لكن لن تمحي هذه السلبية ملامح الصورة الإيجابية التي نقلها من التاريخ والموروث اليهودي ، متمثلة بنبي الله موسى (ع) وشمشون ويهوذا من العهد العتيق.

٢. احتلال إسرائيل للأراضي الفلسطينية غصبا وغضبا ومعاملتها اللاإنسانية مع الفلسطينين والغطرسة التي طغت على خطابها مع المسلم والعربي والنكسات التي أنجبت آلاما للأمة والخيبة من الأنا الحاكمة حفّزت أحمد مطر على رسم هذه الصورة.

- خلفية البحث

من خلال البحث عن الدراسات حول أحمد مطر وصورة الآخر اليهودي حصلنا على عدة بحوث وأطاريح منها:

١."اليهودي في الرواية الفلسطينية " صدر في الجزائر ٢٠٠٢م. لحسين أبو النجا وقد تشكل من مقدمة ، وتمهيد عرض فيه خلفيات تكون الصورة ، وبابين؛ الأول ناقش فيه صورة اليهودية في الرواية الفلسطينية ، والثاني صورة اليهودي وقد خلص الدارس إلى أن صورة اليهودية بدت في الصفات: الغانية ، المتعايشة ، العاجزة ، المتخلية ، فيما تمثلت صورة اليهودي في الصفات: الطماع ، الوجودي ، الصهيوني.

٢." الشخصية اليهودية الإسرائيلية في الخطاب الروائي الفلسطيني ، ١٩٦٧م-١٩٩٧م " لصبحية عودة ٢٠٠٦م. فدرست الشخصية اليهودية الإسرائيلية بين الوعي السلبي والوعي الإيجابي مع البناء الخارجي والداخلي لها وتحول منظور الروائيين الفلسطينيين تجاه الآخر وصورة العربي في المفهوم الإسرائيلي وسمات الشخصية اليهودية الإسرائيلية في الرواية الفلسطينية.

٣."الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية" لرشاد عبدالله الشامي ٢٠٠٢م. اعتمد المؤلف في هذه الدراسة على الموضوعية والعقلانية وتضمنت مقدمة وخمسة فصول وتوصل إلى السمة الأساسية للشخصية اليهودية تتمثل في التناقض بين الشعور بالاستعلاء والشعور بالدونية والاضطهاد وهذا التناقض جعلها تتسم بالروح العدائية ضد الآخر.

٤.«استظهار صورة الحاكم في شعر احمد مطر» لرسول بلاوي وآخرين ٢٠١٨م. بحث صورة الحاكم في نتاج شعره ، حيث يصفه بالكلب والحمار ، والطاغي والخائن ، لأن شعر مطر حتى الساخر يحمل قضايا إنسانيه عامّة وتجلّت في قصائده كبريائه الإنسانية التي يراها أرفع من كل ظالم وسلطة؛ وبذلك أصبحت نظرته سلبية بالنسبة للحكام الطغاة الذين لا يعترفون بالإنسانية ولوامة الشعب.

٥.«صورة أمريكا في شعر أحمد مطر؛ دراسة صورولوجية» مقال لخليل برويني ٢٠١٦م. فدل الآخر الأمريكي في شعر أحمد على أن الشاعر يفرق بين الحكومة وشعبها ، فيرسم صورة مشوهة للحكومة الأمريكية بينما نراه في نظرته إلى الشعب الأمريكي مذبذب بين السلبية المحقرة والإيجابية المعظمة.

٦. "ألشخصية اليهودية الإسرائيلية وأثرها في صياغة الحرب النفسية اليهودية الإسرائيلية " لـ "محمود فتوح محمد سعدات" ٢٠١٣م. ناقش قضية تأصيل أبعاد الفكر اليهودي الإسرائيلي ومكنونات الشخصية اليهودية الإسرائيلية ، قام الكاتب بتقسيم كتابه إلى ثمانية فصول فقد تحدث فيها عن الشخصية اليهودية الإسرائيلية ومكنوناتها وأثرها في صياغة الحرب النفسية.

٧. "صورة الآخر اليهودي في شعر محمود درويش" لسارة زراري عام ٢٠١٢م. حيث درست صورة اليهودي التي تمثلت بصورة نمطية ظلت منذ أمد بعد تكرار نفسها على مستوى اللاشعور وتجلت في صورة عدو وجندي وسجان وقاتل...وإلخ.

٨." صورة فلسطين في شعر أحمد مطر" لمحمد دوابشة ٢٠٠٧م. حيث درس صورة الفلسطيني الذي يناضل لوطنه وهويته في إنتاج الشاعر ومبينا ملامح اليهودي في ثناياها وراسما لوحة من أنماط الشخصية الفلسطينية على ساحة شعره.

٩ . مقالة لـ صادق فتحي دهكردي وعليرضا محمد رضائي وناصر قاسمي معنونة بـ"أشكال التعبير عن الواقعية السياسية في شعر أحمد مطر" نشرت في مجلة اللغة العربية وآدابها في العدد ١ من المجلد ١٦ لعام ٢٠٢٠م ، درست أشكال التعبير عن الواقعية السياسية بشتى أشكالها التعبيرية ونقد ضعف الشعوب ومظليوميتها من جانب والاستعمار ومماشاة الحكام معه من جانب آخر ، فبعد دراسة أشارت بعض النتائج على أن أحمد مطر استعان بأساليب نثرية عدة ، كالسرد والحوار ، والأحجية ، والوصف ، والتلاعب بالحروفا ، موظفا الرموز ليكشف عما يختبئ خلفها ، فمثلا اتخذ من الغدة السرطانية رمزا لإسرائيل التي سببت المرض في جسد الأمة وهذا الجانب يقترب من موضوعنا ولو لمح عليه الكاتب بخطفة.

هذا ما وصلنا إليه على حد علمنا من خلال التصفح للخلفية ؛ كما وجدنا دراسات عدة تناولت شعر أحمد مطر برؤى نقدية أو لسانية أو أي مجال آخر ، لكننا لم نجد بحثا مستقلا درس صورة الآخر اليهودي في شعر أحمد مطر؛ فمن هذا المنظور يعد هذا المقال جديدا في مجال شعره وأدبه.

الصورولوجيا

في النصف الأول من القرن التاسع عشر كتبت الأديبة الفرنسية "مدام دوستال" كتاب "ألمانيا" بعد رحلة طويلة في تلك البلاد ففوجئت عندما رأت الشعب الألماني يتمتع بمناقب وطبيعة خلابة فقارنت الصورة المرئية المتجسدة أمام عينيها مع الصورة المروية التي شحنت في ذاكرتها ورأت مدى التشويه بين الواقع والمروي ، فحاولت تصحيح الصورة المدسوسة المشوهة ، فهذا الكتاب يعد من الكتب البدائية لهذه الدراسة المنطلقة من فرنسا وهي إحدي فروع الأدب المقارن الباحث

عن «مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة ، وصلاتها الكثيرة المتعددة ، في حاضرها أو في ماضيها ، وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير أو تأثر»(هلال ،٢٠٠١ :١٦). تطورت هذه الدراسات في الآونة الأخيرة لعلاقة الشعوب ، حيث داست الأراضي العربية وحقولها الأدبية في العقود المنصرمة لكنها لم تأت «نتيجة لتطور تاريخي وحضاري ، أو استجابة لحاجة داخل اللغة القومية... بل جاء الأدب المقارن إلى العالم العربي من فوق ، ومنقولا من الجامعات الفرنسية ، على يد الدكتور محمد غنيمي هلال ، في كتاب: "الأدب المقارن"»(عبدالحميد ،١٩٩٧ :١١). حيث بدأ الاهتمام في السنوات الفائتة بإحدى علوم الأدب المقارن المتجلي في الصورة الأدبية والمسمى بالصورلوجيا (Imagologie) ، فكل شعب يقدم صورة عن نفسه تكون مشرفة ويتباهى بها أمام الشعوب الأخري أو غيرها ، فتُرسم هذه الصورة بريشة أهل الفن والأدب وسائر أقطاب الشعب والغاية ، تقييم الشعب ذاته بذات الآخر حيث «إن الذات تدرك نفسها بفضل العلاقة مع الآخر فالذات تتشكل ويعاد تشكيلها في المواجهة مع الآخر ، لذلك أي تشويه في النظرة للآخر لابد أن يعني تشويها كامنا في الذات»(حمود ،٢٠٠٠ :١٠٩). فهذه الصورة التي يدركها الشخص من خلال معاملة الآخر تعطي رؤية للأنا ، لكن بعض الأحيان تكون النتيجة معاكسة لعدم سوء فهم الآخر. وبما أنها اجتهادات ذاتية ، نتيجة لحالات يمر بها المرسل فالنسبة لم تكن مطلقة ، فانطلقت هذه البحوث في الأدب لأن «الأثر الأدبي يبدو لنا على هيئة مسار أي مجموعة من العلاقات المتحولة التي يقيمها اللسان بين وجدان الكاتب الفريد وبين العالم الخارجي»(حمود ،١٩٩٧ :١٥). فالصورولوجيا تأتي بداية من التصوّر والتصوير الذي يقوم به الذهن لإدراك المعاني التي تتباري لتصور مفهوما ما ، يخلق في الذهن ، فالإنسان «من حيث هو تصور ذهني يدل على مجموع الصفات المشتركة بين جميع الناس والمؤلفة لمفهوم "الإنسان"»(سعيد ،٢٠٠٤ :١٠٧). ومن هذا المنظار تدخل هذه التصورات على ساحة الأدب فإذا تأملنا إلى «الأدب لاحظنا فيه عناصر كثيرة عصية على الأطر الموضوعية قريبة من الذاتية(الانفعالات ، العواطف ، الخيال ، الموسيقى...) فالطاقة الوجدانية و التخييلية هي التي تشحن نصا ما بالأدب أو الفن بتعبير أدق. فتنفي عن لغته الجفاف والآلية في التعبير.»(حمود ،١٩٩٧ :١٤). فعند ما نرسم صورة الآخر يكون هناك انبثاق «عن إحساس مهما كان ضئيلاً (بالأنا) مع الآخر و(بهنا) بالمقارنة مع مكان آخر ، الصورة هي إذن تعبير أدبي أو غير أدبي عن انزياح ذي مغزى بين منظومتين من الواقع الثقافي»(باجو ،١٩٩٧ :٩١) فعندما دخل هذا الشعور في طيات التفكر ومتاهات الخيال الذي يجنح نحو آفاق مترامية بعيدة المنال لأن الإنسان حي مفكر كما تؤكد "الكوجيطو": أنا أفكر إذن أنا موجود (Cogito ergo sum) ويعني هذا القول «إثبات وجود النفس من حيث هي موجود مفكر والبرهنة على وجودها بفعلها الذي هو الفكر ، لأن التفكير يفرض الوجود»(سعيد ،٢٠٠٤ :٣٨٤). فهذا الفكر يتجلى في رسم الصورة عند سبر أغوار النفس وعند مشاهدة الآخر فتتكون الصورة وتكون محط أنظار الصورولوجيين الذين يدرسون «الصورة الذهنية التي يشكلها الإنسان عن ذاته وعن الآخرين »(حمود ،٢٠١١: ١٠٧). فتتبلور هذه الصورة من خلال تحليل النماذج الموجودة من نثر أو شعر أو نظرة شعب لشعب آخر و«تركز الدراسات الصورلوجية جهودها على الجوانب الفنية والأدبية لصور الشعوب الأجنبية في الآداب القومية »(عبود ، ١٩٩٢ :٣٧٢). فمحطات علم الصورولوجيا تهتم لإظهار مدى تباعد أو تقارب الأفكار والشعوب مع بعضها فلأجل هذا «تكتسب صورة الآخر أهمية استثنائية باعتبارها واحدة من أهم ميادين علم الأدب المقارن ، وأغناها بالبحوث ، وأكثرها صلة بحياة الشعوب وأدبها و المؤثرات فيها»(الحربي ، ١٤٤١ :١٦٢).

الآخر

إن علاقة الأنا مع الآخر علاقة متفاعلة و غير محددة بحدود الجغرافيا أو السوسيولوجية أو السايكولوجية أو إنثروبولوجيا معينة وغيرها من المجالات حيث هي صورة منتزعة من الرؤي الذاتية التي تتصور بصورة مختلفة بحسب المحفزات التي يبعثها الإحساس عند مواجهة المحرك الخارجي فـ«الأنا هو ذلك القسم من الهو الذي تعدل نتيجة العالم الخارجي فيه تأثيرا مباشرا بواسطة الإدراك الحسي –الشعور: أي إن الأنا هو عبارة عن امتداد لعميلة تمايز السطح فضلا عن ذلك فإن الأنا يقوم بنقل تأثير العالم الخارجي إلى الهو ومافيه من نزعات»(فرويد ،١٩٨٢ :٤٢-٤٣). فعندما يكون المحرك

الخارجي ذات تفاسير مختلفة فهناك جدل داخلي بين الأنا الواقعية والهو الطالبة للذة لكن في بعد آخر«الأنا هو أيضا الوعي بوحدة الذات التي تربط وتجمع بين حالاتها الشعورية المختلفة وأفعالها المتعاقبة في الزمان»(سعيد ،٢٠٠٤ :٥٧). فكثيرا ما تكون الأنا مرادفة مع الذات في شعورها ومواقفها تجاه الواقع والآخر ومن منظور الأدب تصوير الذات «يجري غالبا من خلال المتخيل فهناك تتراءى الذات مكبرة مرات ، أو مشتتة تحتاج إلى إعادة تشكيل وتهذيب ، أو ممتدة في الماضي وملتصقة بأحداث وصور ومشاعر وذكري ، أو مثقلة بروح النقمة وأجواء الموت والأحلام المطعونة ما يجمع كل هذا المتخيل هو أن تصوير الذات يتسع دائما لتقديم رؤية ذاتية للعالم قد تتزين بخيوط اللاوعي والخيال»(زيتوني ،٢٠٠٢ :١١٨). فهذه الرؤية الذاتية تنبعث من إحساس المرسل تجاة حافز يحركه ، فالشعر هو يأتي من الشعور وهذا الشعور لن يكون كله في منصة الأنا الواقعية بل بعضه من الهو الآنية فتكون بعض المواقف تختلف من مرسل إلى مرسل عند إرسال رسالة إلى المتلقي لتبيين موقف يختص بالآخر لأن التأثر بالآخر«أمر لامفر منه اليوم ، شئنا أم أبينا ، ففي عصر الاتصالات الحديثة والمذهلة في سرعتها ، يغزونا الآخر في عقر بيوتنا»(حمود ،٢٠٠٠ :٥). فدراسة صورة الآخر هي نوع من التوجه إلى الذات والتحديات التي تواجهها هوية الأنا عند اصطدامها مع الآخر فكل من الأنا و الآخر يرسل ذبذبات نحو المتلقي لإرساء فكرة ما أو إثبات وجود له فمن منظور ثاني دراسة صورة الآخر لاشعوريا نوع من بيان الأنا «لذلك فإن أية صورة للآخر هي انعكاس لـ(الأنا)سواء أكانت تجسد اختلافا(الآخر مقابل للأنا) أم لقاء(الآخر يشبه الأنا) وبذلك ، تعد هذه الصورة فعلاً ثقافيا ، يقدم تفاعل الأنا مع الآخر»(حمود ،٢٠١١: ١٠٧).

فصورة الآخر ليست صورة المخالف بل بيان قسم من الأنا الكامنه المتجلي في الآخر أو بيان آمال وغايات تأملها الأنا ، فتنظم الأنا إما صورة إيجابية تقوم الذات بالتعامل معها إيجابيا و«يري فيها الكاتب (أو الجماعة) الواقع الثقافي الأجنبي متفوقا بصورة مطلقة على الثقافة الوطنية الأصلية»(حمود ،٢٠٠٠ :١٢١).و إذا كانت سلبية تقوم الذات بمواجهتها ومجادلتها وإثبات نفسها أمامها. فلهذا دراسة صورة الآخر في الأدب العربي «لا تبرز الخصائص التي يسبغها العرب على مخالفيهم والصورة التي يرسمونهم بها فحسب ، بل تكشف في جانب كبير منها عن خصائص الهوية العربية في نظر الأدباء»(الحربي ،١٤٤١ :١٦٤). فما يقوم به هذا المقال هو دراسة صورة الآخر اليهودي في شعر الشاعر العراقي أحمد مطر ضمن إطار الصورولوجيا ورسم شاكلة وغاية الصورة المتجلية في أشعاره ، وحتى لا نختلف في تكييف مفهوم اليهودي أو الاسرائيلي مناط هذه القراءة ، فإن المقصود هنا يتصل بصورة وثيقة بمفهوم الصهيوني ودلالاتها العنصرية والاحتلالية ، ولا يقصد الإشارة إلى اليهودي كصاحب دين ، أو الاسرئيلي كصفة لصيقة بفكرة الجنسية لأن هناك ملامح إيجابية لليهودي خلافا للصورة السلبية العامه.

أحمد مطر

هو شاعر عراقي مناضل ولد ١٩٥٤ ، في سن الرابعة عشرة داعب أنامل شاعر النهرين قصائب القصائد لكنها لن تخرج عن إطار الغزل والرومانسية السائدة آنذاك لكن نفسيته حينما شاهدت الصراع الخفي بين السلطة والشعب فالقيت بنفسها في هاوية الشعر اللاذع السياسي كاشفة خيانة السلطة لأنه يرى «رسالته الكبرى في شعره هي محاولة إخراج الناس من عبودية العبيد للحرية الكبرى»(أوس ،٢٠١٠ :١٢). فضايقته الحكومه فترك سعف البصرة متجها نحو رمال الكويت ، فعمل محررا ثقافيا بجريدة "القبس" الكويتية فهناك التقى نجمه مع ضوء "ناجي العلي" فكان أحمد يبدأ الجريدة بلافتته وناجي يختمها بلوحته الكاريكاتيرية. ومن يقرأ شعره يجده فيه «هواجس إليأس والحزن الشديد القاتل التي تتبدى بوضوح في قصائده ولافتاته ، والتي يبررها بالواقع العربي للمتردي»(الخير ،٢٠١٢ :٩). وما نجده كثيرا في شعر أحمد هو دور السخرية التي طغت في شعره وعلى كل مساحات أوراق دواوينه لأنها تعد «براعة ولعبة ذكية موظفة بوعي ، تحتاج لفكر وذكاء لفك ألغازها ، فالشاعر لا يترك المتلقي إلا وقد أحس بالدهشة تجاه الصورة التي تفيض بالتهكم اللاذع »(تاكفراست ، ٢٠١٧ :١٧٣).

١. تمظهرات صورة الآخر في شعر أحمد مطر

تكون دراسة الآخر على مستويات مختلفة حسب البعد الذي يقتفي أثره البحث ، فالآخر يتجلى في صورتين على مستويين: «الأول: الآخر القريب الذي يتقاسم مع الأنا البيئة والثقافة واللغة. الثاني: الآخر البعيد الذي لا يشترك معنا إلا في البعد الإنساني»(محمداه ،٢٠١١ :٩٢). بما أن أحمد مطر من أرض الرافدين وعراقي ذات أصول عربية والآخر من أرض وجنسية وجذور أخرى ينطبق المستوي الثاني ، لكن كيفية تصوير الصورة ظهرت على مستويين: الأولي صورة سلبية والثانية صورة إيجابية .

١. ١. صورة سلبية

١. ١. ١. صورة محقرة

في قصيدة "نكت" صور الآخر اليهودي ضمن إطار الدُويلَة اللقيطَة حيث ينقل لنا رواية كعادته في شعره التي ينطبق عليها طابع الأقصوصة «صارَ المُذيعُ خارِجَ الخَريطَة /وصوتُهُ /مازالَ يأتي هادِرا/نَستنكرُ الدُويلَةَ اللقيطَة»(مطر ،٢٠١١ :١٧). استنكر وجود الآخر المرسوم في هذه المقطوعة بالدُويلَةَ فحقره باسم التصغير من باب التحقير لا التحبيب ، ثم أردفها بصفة ثانية أنكر من الأولى تجلت بكلمة اللقيطَة فاللقيط يُطلق على الطفل الصغير الذي يتم العثور عليه على جانب الشارع أو في المساجد والأماكن العامة الأخرى دون ولي أمر وغير قادر على إعالة نفسه ومجهول الوالدين ، إذن يحدد بهذه الصورة البشعة حدود الدولة اليهودية وهي لاتكون إلا دويلة صغيرة وأيضا هجم على جذور اليهودي التي التقطت من شتى الأمصار وبارزا عضلاته أمام الشعب الفلسطيني فهذه الصورة سلبية حدوديا لإسرائيل ومشوهة عرقيا للأخر اليهودي مهما كانت اليهود «أقدم الأديان السماوية ، تعاليمها مدونة في (العهد القديم) من الكتاب المقدس وفي التلمود. وأساسها الإيمان بإله واحد ، وبأن اليهود هم شعب الله المختار المنحدر من أبي الأنبياء إبراهيم الخليل»(المسيري وآخرون ،٢٠١٠ :٣٦٨). وهذه تتطابق مع الواقع السياسي للدولة اليهودية التي جمعت من الأمصار والدول وأصبحت قوى فحفرت أحمد هذه الحاله لأن وجد الأنا بتاريخها وأصولها العريقة هزيمت منها.

وفي موقع آخر انتقى أحمد مطر من الحيوانات النملة لصغر حجمها لتحقير الدولة الصهيونية فعبر عنها في ثلاث قصائد وهي: بلاد نملة وديوان المسائل ودلال معبرا بين الواقع المرير مازجا فيه السخرية الأليمة راسما مفارقة تعصف بوجدان كل إنسان حيث يذكر في بلاد نملة: «مائتا مليونِ نملةٍ /أكلتْ في ساعةٍ جثةَ فيلْ /ولدينا مائتا مليونِ إنسانٍ /ينامونَ على قُبْحِ المَذَلَّةْ /.../عجزوا عن قَتلِ نملة! /تفقأُ العزةُ عَينَ المستَحيل /تَصنعُ العِزةُ للنملة دولَة / ويعيثُ النملُ في دولة إنسانٍ ذَليل!»(مطر ،٢٠١١ :١٢٠). فهو يناشد العالم العربي والإسلامي واضعا علامة استفهام في دماغ كل شخص عندما صور للآخر اليهودي صورة محقرة متجلية في نملة وهي حشرة صغيرة لاحول لها ولاقوة أمام الأنا الذي يفوقه عددا وطولا وعرضا ، حيث يلوم الأنا عن عدم وقوفه في وجه هذه الحشرة والحافز هو «حالة العداء للآخر حيث تؤدي العلاقات العدائية بين الشعوب إلى تكوين صورة سلبية عن الآخر(المعادي) فيبرز الواقع الثقافي الأجنبي في مرتبة أدنى من الثقافة المحلية»(حمود ،٢٠٠٠ :١٢٠). لكن حينما تكون للنملة عزة بين القوي الكبرى يمينها بيد بريطانيا وشمالها بيد الولايات المتحدة فتكون لها دولة لكن هذه الدولة مصدر فساد في دولة الإنسان الذي أصبح ذليلا وفقيرا.

و في قصيدة "ديوان المسائل" مرة أخرى يرسم صورة محقرة متجلية في نملة وعفطة عنزة فالشاعر في حالة استفهام إنكاري يذم الأنا ويشوه الآخر: «إن كان الغربُ هو الحامي /فلماذا نبتاعُ سلاحه؟ /.../ إن كان لدولتنا وزنٌ /فلماذا تهزمها نَمله؟ /وإذا كانت عَفطة عنزٍ/فلماذا ندعوها دولة؟ ★★... »(مطر ،٢٠١١ :٢٢٩). يقيس الشاعر بين دولته وإسرائيل ويتساءل إذا كان لنا عظمة ووزن كما نتصور فلماذا دويلة صغيرة بحجم النملة حيث تضيع على خارطة العالم تهزمنا؟! وأيضا يسأل بعض السياسيين الذين يطلقون على إسرائيل لفظة عفطة عنز ولا وجود لها لأنها آجلا أم عاجلا تمحى ، لماذا نسميها دولة؟! «في مثل هذه الحالة تكون وظيفة صورة الآخر إثارة مشاعر العداء تجاه الآخر ومشاعر الولاء والتضامن والتواجد تجاه الذات أو الأنا أو نحن ، وبذلك تتحول الصورة إلى وسيلة من وسائل التعبئة النفسية ، وعلى هذا

الصعيد قدّم الأدب الصهيوني مثالا صارخا على ذلك »(حمود ،٢٠٠٠ :١٢٠-١٢١). الملاحظ في هذا دعته حالة التخاذل والانكسار السائد على مجتمعه أن يأتي بهذا المنطق ويستجوب الأنا ، لأن هذه الصورة منبثقة من حالة الشعب العربي والمسلم الصامت أمام هذه التحديات التي تمارس على خارطة الفلسطيني.

تارة أخرى في لافتة "دلال" يكرر أحمد التشبيه الملفوف بغطاء التحقير لليهودي في إطار ديالوج بين النملة والفيل وجسارة النملة ووقاحتها عند مخاطبة الفيل: «النملة قالت للفيل: قم دلكني /ومقابل ذلك ضحكني!؛ /وإذا لم أضحك عوضني /بالتقبيل وبالتمويل /وإذا لم أقنع..قدم لي/كل صباح ألف قتيل /ضحك الفيل؛/فشاطت غضبا؛ /تسخر مني يا برميل /ما المضحك فيما قد قيل؟ /غيري أصغر...؛/لكن طلبت أكثر مني /غيرك أكبر/لكن لبى وهو ذليل /أي دليل ؟؟/أكبر منك بلاد العرب/وأصغر مني إسرائيل !!!!»(مطر ،٢٠١١ :٢٨٦). في هذه المسرحية المقمطة بالكوميدية السوداء يصور مطر بلاد العرب بالفيل جثة والآخر الإسرائيلي بالنملة صغرا ، فظاهر الصورة يعبر عن شيء وباطنها يخالف ما يبرزه الظاهر ، فالنملة تتذمر بوجه الفيل وتطلب منه أن يقوم بواجبات تخالف واقع الأمر طالبة منه التدليك والتضحيك وإذا عجز عن هذا يقوم بواجب آخر وهو التقبيل والتمويل وتقديم ألف قتيل كل يوم لكن الفيل عندما خالفها بغضب ذكرت له النملة واقع مؤلم وهو حالة العرب وإسرائيل فهذه الصورة في بطنها ذما للأنا دون شك ، لكن في ثناياها نجد صورة محقرة لليهودي عند ما نفك شفرات النص وتكون النملة صورة الكيان الصهيوني نفسه مرة أخرى وضعه أحمد في صورة حشرة ضعيفة دالة على حقارته ، مما يلاحظ في الصورة الحقيرة التي ذكرها مطر نجد حافز التخاذل عند الأنا هو الذي أعطى حافزا لليهودي أن يطغي في خطابه ويبرز عضلاته أمام الأنا ، ومن منظور آخر نجد هذه الصورة لاشعوريا مكبوتة في اللاشعور العربي وعبر عنها مطر في إنتاجه ، فهذه الصورة الحقيرة تتجلى على طابع حسي في صغر حجم الدولة اليهودية وعدد نسماتها مقارنة بالأنا العربي والمسلم وعلى طابع مضموني أيضا صورت في الشعور الذي يختلق عند القلة مقابل الكثرة لكن ما صوره لنا مطر مفارقة قلبت الموازين وأصبحت القلة هي التي تفرض ما تريد والكثرة المتخاذلة مرغمة على التسليم والقبول.

١. ١. ٢.صورة قاتل

في قصيدة "استغاثة" يطغى النفس السخري مرة أخرى في أزقة الأبيات ، عندما يطلب الإغاثة من عزرائيل خلاصا من شر إسرائيل المحتل: «الناسُ ثَلاث أمواتٍ /في أوطاني /والميتُ مَعناه قَتيل /قِسم يقتلهُ اصحابُ الفيل /والثاني تَقتله إسرائيل /والثالثُ تقتلهُ عربائيل /وعربائيل بلادي /تَمتدُ من الكعبة حتى النيل/والله اشتقنا للموتِ بلا تَنكيل /والله اشتقنا /ثم اشتقنا/ واشتقنا /انقذنا... يا عزرائيل»(مطر ،٢٠١١ :١٠٦). فالموت في وطنه لن يأتي بولوج عزرائيل وأخذ الأمانة بل يأتي على يد القاتلين منهم الآخر الإسرائيلي والثاني الأنا العربي ، فرصف الشاعر صورة إسرائيل ملاصقة بعربائيل و"ئيل" كلمة عبرية ألصقها الشاعر بالعرب دالا على أنهم أيضا أيديهم ملطخة بدماء الشعب لأن في بعض الأحيان تشابه الألفاظ يدل على تشابه المعاني والأعمال في قتل الأبرياء واحتلال الأراضي الفلسطينية فإسرائيل لن تنجح في مهمتها إلا وساعدها السلطان العربي ، فيفر مطر من الاثنين طالبا النجدة من عزرائيل ليخلصه مما يجري على أرض الواقع فهنا صار الآخر أنا وهنا التصقت بهناك ، الباعث على رسم هذه الصورة هو تشابه الأعمال على الساحتين فهناك يجني إسرائيل بحق العربي وهنا يظلم الحاكم المواطن.

في مطلع من قصيدة "هات العدل" يثور أحمد على رجال الدين الذين يتاجرون باسم الرحمن للوصول إلى حطام زهيد من الدنيا مبررا ساحة الأديان السماوية من تفاهاتهم وأقوالهم: «أُدعُ إلى دينِكَ بالحُسنى /وَدَعِ الباقي للديَّان. /أمّا الحُكْمُ.. فأمرٌ ثانْ.../أنَّ لِسانَكَ يلهَجُ باسمِ اللهِ /وقلبَكَ يرقُصُ للشيطانْ! /.../هل تفتحُ للدينِ الدُّنيا ../أم تَحبِسُهُ في دُكّانْ ؟! /.../يذبحُني باسم الرحمانِ فِداءً للأوثانْ! /هذا يَذبحُ بالتَّوراةِ /وذلكَ يَذبحُ بالإنجيلِ /وهذا يذبحُ بالقرآنْ! /لا ذنْبَ لكلِّ الأديانْ /الذنبُ بِطبْعِ الإنسانِ/»(مطر ،٢٠١١: ١٩٤-١٩٥). النظرة الإنسانية المطرية التي يرسم صورتها هنا كانت ذات آفاق واسعة بوسع الإنسان وكل ما تعني هذه الكلمة ، فيكون الآخر هو رجال الدين الذين فتحوا

مكاتبهم التجارية لبيع أراضي الجنة بأراضي الدنيا كل على طريقته يذبح الإنسان ، و يأخذ مطر من الصور المطروحة صورة رجل الدين اليهودي ، فيقوم الحاخام اليهودي بذبح الإنسان بتوراته ولايختلف من هو الإنسان وكما قال نيكولو دي برنادو دي ماكيافيلّي (١٤٦٩-١٥٢٧) الفيلسوف والمفكر السياسي الإيطالى "إن الغايات تبرر الأوساط" لكن ساحة الأديان بريئة مما تجني هذه الفئة فإضافة إلى الجندي الإسرائيلي يزج الشاعر صورة سلبية لرجل الدين في قائمة القتلة الذين يبيحون دماء الإنسان ، فهذه المتاجرة لن تكون فقط عند الآخر اليهودي وحده بل زجها على سائر طبقات الطائفية التي تحمل عنوان الدين ، فسبب هذه الصوره يعود إلى الثيوقراطية المسيطرة على الأراضي والعقلية العربية والمسلمة ، فأدرك أحمد هذه الحالة عند الأنا ولاشعوريا ينسبها إلى الأخر لأن هذه الحالة تؤلمه فهي مكبوتة في اللاوعي فحفزفا الواقع المؤلم المطروح على الساحة الفلسطينية والعربية.

وامتداداً لصورة القاتل نجد في قصيدة "من الأدب المقارن" يستخدم الشاعر التشبيه الضمني ليسخر من السلطان العربي حين يصور الآخر اليهودي بقصاب ويفضح السلطان العربي مدعيا بأن شأنه أقل من شأن "فيفي" لأنها تمتاز بحس قومي وهو يفقد ذلك «...ولفيفي حس قومي /يعتبر التطبيع خرابا /ويرى إسرائيل غرابا /... / لا تغفر (فيفي) أوبئة /غرفتنا شعبا وترابا /ولعمق جراح مشاعرها /تصرخ (فيفي): رجعت طابا /لكن فؤادي ماطابا! /والحاكم عار عريان /يعتبر العورات ثيابا! /... /هو أول مركوب تعب /يدفع للراكب اتعابا! /وهو باعجاز عجيزته /أصبح مسلوبا سلابا! /يدخل إسرائيل خروفا.. /ويعود إلينا قصابا!...»(مطر ،٢٠١١ :٢٦٢). في هذا المشهد يرسم مطر مفارقة لنا بين السلطان وعطيات عبد الفتاح إبراهيم (١٩٥٣) المعروفة بفيفي عبده ممثلة مصرية وراقصة شرقية ،والتي رقصت في فيلم الرسالة من إخراج المخرج السوري – الأمريكي مصطفى العقاد (٢٠٠٥ – ١٩٣٠). وفي ثنايا غفلة السلطان يستطرد الشاعر نحو الآخر اليهودي ويرسم صورة مشوهة أخرى له عندما نكون في غفلتنا نصور اليهودي ضعيفا لكنه جزار دون رأفة ورحمة ولايعرف غير اقتطاف الرؤوس التي حان وقتها أو لم يحن ، وفي بعد آخر يشوه صورة إسرائيل عامة ، حيث تكون أرضهم ملجأ للإرهاب والدمار وإذا يدخلها إنسان بريء يخرج منها قاتلا ، فهي مدرسة تعلم طلابها أبجدية القتل ومحو الآخر عن الساحة لإثبات وجودها ومَرد هذه الصورة يرجع للمجازر التي ارتكبها الآخر اليهودي في فلسطين وحافزها هو إدمان السلطان على الراحة والهوى وترك أهم القضايا العربية والإسلامية ،حيث كرس وقته للملذات دون أن يهتم بالواجبات.

وفي قصيدة "لامفر" يتعاطف "أحمد "مع عزرائيل لتخلصه من يد اليهود والأمريكان عند قبض الأرواح اليهودية «أطبقَ كَفَّيْهِ على موشي ، /أنْشَبَ فَكَّيْهِ بِراشيلْ /لَمْ يَتَهَيَّبْ /لَمْ يَتَرَدَّدْ /قَتَلَ الاثنينِ عَلانيَةً.. /وكأنَّ الواقعَ تمثيلْ! /وكأنَّ المَقتولَةَ ليلى ، /وكأنَّ المقتولَ خليلْ! /يا للوَقْعَةِ! /أيُّ كفيلْ /سَيُخَلِّصُهُ مِن أمريكا؟ /أيُّ سَبيلْ /سَيُجَنِّبُهُ إسرائيلْ؟ /أينَ يَفِرُّ /وكيفَ سَينجو /هذا الإرهابيُّ المَدْعُو.. /عِزرائيلْ؟!»(مطر ،٢٠١١ :٢٧٣). "موشه ديان" عسكري وسياسي إسرائيلي ويعتبر من أكثر الشخصيات الإسرائيلية تأثيرا على إسرائيل في الثلاثين سنة الأولى من وجودها ، تولى مناصب رئاسة أركان الجيش الاسرائيلي ووزارة الزراعة والدفاع والخارجية. لعب أدوار أساسية في حروب إسرائيل الأولى ، اعتبر بطل النصر في إسرائيل في حرب ١٩٦٧ ، وتم تحميله مسؤولية الفشل في حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، ضمن منصبه كوزير للخارجية ساهم في بلورة اتفاقية السلام بين إسرائيل ومصر تعتبر شخصية ديان من أكثر الشخصيات الإسرائيلية تنوعًا وتركيبًا واثارة للجدل. فحينما قبض روحه عزرائيل صور أحمد هذه الصورة كطبيعته في سائر قصائدة بسخريته متهكما بالآخر اليهودي الذي لايرحم حتى ملك الموت ، فهذه الصورة السلبية صورها الشاعر وبجانب اليهودي تكون يد شريكه الأمريكي. فإذا قابض الأرواح وملك الموت لا مفر له فكيف للطفل الفسلطيني أن ينجو من براثن اليهودي والأمريكي. فالولايات المتحدة لعبت دورا بعد أفول نجم بريطانيا فصارت الساعد الأيمن لإسرائيل وساعدته عسكريا ولوجستيا ضد الأنا. مما يشاهد في صورة القاتل للآخر ، نجد القتل والدمار هو سيد الموقف ، فالحافز الذي حفز أحمد مطر لن يكون محركة الآخر أو الدول العظمى المساعدة لإسرائيل فقط بل الأنا أيضا ساعدت الآخر على ارتكاب هذه المجازر فسكوت السلطان وتقلبه بين الملذات والقضايا التافهه وصمت بعض رجال الدين الذين يتاجرون بكلمات الله لحطام الدنيا شد على ساعد الآخر ضمنيا

في هذه الجرائم البشعة ، فانعكاس هذه الصوره تجلى بداية من الواقع العربي والإسلامي وشعر به أحمد فنسبه لليهودي القاتل ، فهذا الظلم يأتي من الأنا ويرسم بيد الآخر.

١. ١. ٣. صورة عدو غاصب

يشتكي أحمد مطر من الأوضاع الاقتصاديا والسياسية المتردية في قصيدة "أسباب البقاء" ساخرا من الأيديولوجية القومية التي تلخص كل شيء في حب الوطن: «ما عِندَنا خُبز.. ولا وقودُ. /ما عِندنا مَاء.. ولا سُدود. /ما عِندنا لَحم.. وَلا جلودُ /ما عِندنا نقُود. /كَيف تَعيشونَ إذن؟! /- نَعيشُ فِي حبُّ الوطَن! /الوَطَنُ الماضِي الّذي يَحتَلَهُ اليهودُ /وَالوَطنُ الباقِي الذي /يَحتَلهُ اليهودُ! /أينَ تَعيشونَ إذن ؟/ نَعيشُ خَارِج الزَمَن! /الزَمَن المَاضِي الّذي رَاحَ ولَن يَعُودُ /والزَمَنُ الآتِي الّذِي /لَيسَ لَهُ وُجُودُ!»(مطر ،٢٠١١ :٢٧٠). فهذا الوطن الذي ضحى الشعب من أجله بالغالي والثمين ونام الطفل جوعانا لأجل بقائه ، أين يكون؟! وبيد من؟! حيث يحتله العدو المغتصب اليهودي ، لكن هذا الاحتلال لن يكون على مستوى الحال بل يتعدى كرمح يطوي مسافات الماضي والآتي في آن حتى أخرج الأنا العربية من تغطية حدود الزمن ، فإضافة إلى احتلال أراضيه احتل الزمن وأخرج الأنا من إطار الزمن ، فهذه صورة عدو مدجج وحاقد يريد نفي الآخر كي يبقي هو الآمر والناهي دون منافس ،فأحمد يرسم هذه الصورة مستهزئا بما يتلوه أصحاب السلطة الذين يظنون هم يقودون السفينة نحو السلام لكن لايعلمون أنهم لن يكون لهم محل من الإعراب على مساحات النصوص اليهودية. فالحالة التعيسة التي يعيش فيها المواطن تتطلب حلول اقتصادية وعلمية لإخراج البلاد من الأزمة الراهنة ولا تطلب لافتات أيديولوجية قومية لحلها فأثر هذه الحالة برز على مستوى النص المطري قياسا بالآخر اليهودي الذي يتمتع بما لا يجده عند الأنا.

وفي "مجهود حربي" يشرح الشاعر الأوضاع المعيشية إثر الحروب على المواطن العربي ويتطرق أثناءها إلى فلسطين مصورا المشهد التالي: «لأبي كانَ مَعاشٌ /هو أدنى من معاشِ المَيِّتينْ! /نِصفُهُ يَذهَبُ للدَّيّنِ /وما يَبقى /لِغَوثِ اللاجئينْ /ولتحريرِ فلسطينَ من المُغتَصِبينْ /وعلى مَرِّ السنينْ /كانَ يزدادُ ثَراءُ الثائرينْ! /والثرى ينقصُ من حينٍ لحينْ /وسُيوفُ الفتحِ تَنْدَقُّ إلى المِقْبَضِ/.../وأخيراً قَبِلَ الناقصُ بالتقسيمِ /فانشقَّتْ فَلَسطينُ إلى شقّينِ: /للثوّارِ: فَلْسٌ /ولإسرائيلَ: طِينْ! »(مطر ،٢٠١١ :٣٢٥). أثر الضرائب التي تحملها الحكومات على عاتق المواطن باسم الدفاع عن القضية الفلسطينية ولتحريرها ،لكنها دون جدوى لأن ضغطها على الأنا ولازالت بلاد القدس قيد الأسر ، فينطق مرة أخرى أحمد واصفا الآخر اليهودي بالمغتصب الذي استحوذ على القدس واستملك الطين الدال على الأرض لكن الثوار لن يحصلوا إلا على فلس الدال على شيء بسيط لا قيمة له والخاسر الأكبر الشعب الفلسطيني ، لأن المال خلع من الجيب ،والأرض أخذت أمام الجبين فهذه الصورة السلبية الصارخة للآخر اليهودي تأكد مما يهدف إليه مطر من صب صورة عدو مغتصب للآخر الإسرائيلي بقالب من إسمنت مسلح لأن الخلفاء شاردون ليسوا راشدين ، فالأجواء التي سادت البلاد في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي على الساحة العربية عكست نفسها في هذا الإنتاج المطري وحفزته على ذم السلطان والحكومات التي تتاجر بالقضية الفلسطينية وتترك ضغطها على المواطن والمستفيد الأكبر منها هو الغاصب اليهودي.

وفي قصيدة "أقزام طوال" اتخذ أحمد إيقاع معلقة إمرؤالقيس ليرسم بريشته مرة أخرى صورة سلبية للآخر اليهودي الغاصب للأراضي الفلسطينية فينادي: «أيُّها الناس قفا نضحك على هذا المآل /رأسنا ضاع فلم نحزن ../ولكنّا غرقنا في الجدال/عند فقدان النعال!/... /فبلاد العرب قد كانت وحتى اليوم هذا لا تزال /تحت نير الاحتلال /من حدود المسجد الأقصى.. إلى (البيت الحلال)! /لا تنادوا رجلاً فالكل أشباه رجال /.../سيقولون: تعال /وكفى الله (السلاطين) القتال! /إنّني لا أعلم الغيب /ولكن ..صدّقوني: /ذلك الطربوش.. من ذاك العقال!»(مطر ،٢٠١١ :٧٥). فيوسع مطر نظرته هذه المرة ويضع العدو الغاصب إضافة إلى الآخر اليهودي تكون الأنا الحاكمة أيضا ضمن الأعداء الذين يقطعون الوطن أشلاء ويتاجرون بها ، أخذ أحمد أول بيت من قصيدة إمرؤالقيس فوضع قفا نضحك... مكان قفا نبك... لكن هذا الضحك أشد مرارة من ذلك البكاء ، إذا فقد ملك الشعراء فاطمته فأحمد فقد حبيبته فلسطين ومعها كل الأوطان التي لها حبا في سويدات فؤاده ويرسم خارطة المحتلين التي تبدأ بالمسجد الأقصى على يد اليهود إلى المسجد الحرام الذي ذكره بالمسجد

الحلال مرة أخرى سخر من السلطان لأنه احتل أهم مكان يعبده المسلم فالاحتلال شرع من القبلة الأولى حتى القبلة الأخرى ،فهنا تكون صورة الأنا مشوهة مثل صورة الآخر اليهودي لأن على حد تعبيره ذلك الطربوش ويعني به الآخر اليهودي الذي يضع طربوشا فوق رأسه من ذاك العقال وهو يقصد السلطان العربي ولا يفرق بينهم وكأنه يضع الاثنين في مقام الآخر مع فارق الدم لكن الرسالة واحدة وهي اغتصاب البلاد والعقلية العربية.

ومرة فكر الشاعر أن ينشر مقالا في إحدي الجرائد لكي يرسم صورة الآخر اليهودي فيذهب نحو صاحبة الجهالة قائلا: «مَرّةً ، فَكّرتُ في نشْرِ مَقالْ /عَن مآسي الاحتِلالْ /عَنْ دِفاعِ الحَجَرِ الأعزَلِ /عَن مدفَعِ أرباب النّضالْ! /وَعَنِ الطّفْلِ الّذي يُحرَقُ في الثّورةِ /كي يَغْرقَ في الثّروةِ أشباهُ الرِّجالْ! /قَلّبَ المَسئولُ أوراقي ، وَقالْ: /إجتنِبْ أيَّ عِبارات تُثيرُ الانفعال /.../إحذِفِ (الثّرْوَةَ) و(الأشباهَ) /ما كُلُّ الذي يُعرفَ ، يا هذا ، يُقالْ! /قُلتُ: إنّي لستُ إبليسَ /وأنتُمْ لا يُجاريكُمْ سِوى إبليس /في هذا المجالْ./قالّ لي: كانَ هُنا../لكنّهُ لم يَتأقلَمْ /فاستَقالْ!»(مطر ،٢٠١١ :٣٢٨-٣٢٩). فالصورة التي ظهرت من خلال المقطوعة المذكورة يصرح فيها مطر بصراحة عن المآسي التي سببها المحتل الإسرائيلي على الفلسطينيين لكن صورها بقصة قصيرة ضمنها ذم الآخر اليهودي ودافع عن الفلسطيني ، لكن الألم اشتد حينما فاجئنا باتفاقية ضمنية بين المحتل اليهودي لأرض القدس خاصة والمحتل العربي للأوطان العربية عامة في كبت الحريات والرقابة المكثفة على الجرائد ، فالثمن المدفوع لهذه الصفة أرواح أطفال غزة ، رفح ، بيت لحم ، خان يونس ،بئر السبع ، عكا والخليل وباقي المدن والقرى المحتلة ، فحفزت هذه الحالة مطر وظهرت في الصورة السلبية المتجلية في العدو الغاصب اليهودي الأجنبي مع السلطان الغاصب الداخلي وكلاهما يكونان الآخر لأحمد مهما اختلفت الأسماء والأزياء والخطابات للأنهما طرفان لعملة واحدة والضريبة تدفعها الأنا المضطهدة التي قيدت حريتها بين الأنا والأخر.

أُغتيل ناجي العلي بتاريخ ٢٢ يوليو عام ١٩٨٧ إثر عملية نفذها بشار سمارة وهو على ما يبدو الاسم الحركي لبشار الذي كان منتسبا إلى منظمة التحرير الفلسطينية ولكن كان موظفا لدى جهاز الموساد الإسرائيلي وتمت العملية في لندن فأصابه تحت عينه اليمنى ، ومكث في غيبوبة حتى وفاته في ٢٩ اغسطس ١٩٨٧ ، ودفن في لندن ، وآنذاك كان أحمد بلندن بعد نفيه مع ناجي العلي من الكويت ففي تأبينه مرة أخرى رسم صورة مشوهة للعدو اليهودي الغاصب: «أنا لستُ أهجو الحاكمينَ ، وإنّما /أهجو بذكر الحاكمين هجائي /.../الحاكمونَ همُ الكلابُ ، مع اعتذاري /فالكلاب حفيظةٌ لوفاءِ /وهمُ اللصوصُ القاتلونَ العاهرونَ /... /إنْ لم يكونوا خائنين فكيف/ما زالتْ فلسطينٌ لدى الأعداءِ؟ /عشرون عاما والبلادُ رهينةٌ /.../سرقوا حليب صغارنا ، مِنْ أجلِ مَنْ ؟ /كي يستعيدوا موطِنَ الإسراءِ /فتكوا بخير رجالنا ، مِنْ أجلِ مَن؟ /كي يستعيدوا موطِنَ الإسراءِ /... /وصلوا بوحدتهم إلى تجزيئنا /كي يستعيدوا موطِنَ الإسراءِ /فتحوا لأمريكا عفافَ خليجنا /كي يستعيدوا موطِنَ الإسراءِ...»(مطر ،٢٠١١ :٩). في هذه القصيدة الطويلة وهي خلافا لطريقة أحمد مطر في قصائده في هذا السن التي كانت لافتات قصيرة وبعضها لاتبعد عن بيت أو بيتين لكن ألم أحمد عند اغتيال ناجي كان شديدا ، فانفجر وأخرج ما يكمن في قلبه فهجا السلطان الذي ينصب ويعزل بيد الولايات المتحدة وشتّمه بأبشع الكلام وأقبح صورة يستحي القلم من كتابتها تاركا الأبيات تعبر عن نفسها «فهو الشاعر الرافض الذي ينفر من إرادة الآخر وتسلطه وعنفوانه متخذا من الاستهزاء بالواقع العربي المتخلف شعارا... وتبعا لذلك يعتمد شعره على فكرة المباغتة التي تفجر الدوال الكامنة في النص وفق نسق من العلاقات تمرر المنوع بأسلوب السخرية تحزن من شدة الفرح وتؤلم من شدة الهزل»(تاكفراست ، ٢٠١٧ :١٦٤). ثم تطرق للآخر اليهودي ورسم صورته العدوانية حينما كان مستحوذا على موطِن الإسراءِ فطلب أحمد من الأنا أن تثور ضد هذا الكيان الذي لايعرف غير فوهة بندقية ، ففايته من توظيف وتكرار موطن الإسراء بدل فلسطين هي إثارة حفيظة المتلقي عربيا أم مسلما ليذكره بما جرى من تاريخ ذهبي في القرون الأولى لهذه الأرض المقدسة وما يجري من تاريخ دموي في هذا القرن لهذه البقعة الشريفة طالبا الثأر من الآخر اليهودي الصهيوني بدم ناجي العلي وكل من سقط على أرض القدس المسلوبة ، فدم ناجي العلي وخيبته من الحاكم حفز أحمد في هذا المقام ، مما نجده في ثنايا صورة العدو الغاصب للآخر اليهودي نرى أحمد بفكره الإنساني لايفرق بين الحاكم العربي والعدو

الإسرائيلي عند مهمة تدمير الذات واضطهاد الإنسان ، فالعدو عنده هو عدو الإنسانية الذي يغتصب الحريات ويكبت الأصوات المطالبة بالعدل والديمقراطية.

١. ١. ٤. صورة فتنة

قبل هذا صور أحمد مطر إسرائيل بالدّويلة اللقيطة لسوء أفعالها لكنه يعود مرة أخرى ضمن قصيدة معنونة "بالفتنة اللقيطة" طارحا قصة هابيل وقابيل متحيرا: «اثنانِ لاسواكما ، والأرضُ ملْك لَكما /لَوسارَ كلُّ منْكما بِخَطوَهِ الطَّويلْ /لَما التَقَتْ خُطاكما إلّا خلالَ جيلْ /فَكيفَ ضاقَتْ بِكما فَكنْتُما القاتلَ والقَتيلْ؟ /قابيل.. يا قابيل! /لَو لَمْ يجيء ذكرُكما فِي مُحكمِ التَّنزيلْ /قُلْتُ: مُستَحيلْ! /مَنْ زَرَعَ الفتْنَةَ ما بَينَكما /ولَمْ تَكن إسْرائيلْ!!»(مطر ،٢٠١١ :٢٢٣). تجاهل العارف عما يعلم سببه لكنه يستنكر ما جرى على أرض الواقع ، مفسرا القضية بتحليل آخر يستغرب أحمد وقوع القتل بين الأخوين في عهد لم يكن في الأرض غيرهما لكنه يقبل الواقع لأن قصتهما مروية في الذكر الحكيم فهو يبقى متسائلا عن الذي قدح زناد الفتنة بينهما وإسرائيل لم تكن في الوجود ، فالأعمال الشنيعة واللاإنسانية التي ارتكبتها إسرائيل والشق الذي أحدثته بين العرب باتفاقية كامب ديفيد ١٩٧٨م. التي نصت على تفكيك التحالف العربي وتهميش الفلسطينيين ، اجبرت أحمد أن يري جذور كل فتنة في الأرض تستقى من المياه الإسرائيلية التي فتنت الدنيا وفرقت بين العرب بعد ما كانوا متحدين في حرب تشرين ١٩٧٣م. وأشعلت الحروب ودمرت البلاد وأرملت النساء وأيتمت الأطفال فهذه الأعمال حفزته على رسم هذه الصورة السلبية المتجلية في لباس الفتنة التي فصلها للآخر اليهودي دالا على اشمئزاز ونفاره من الصهيوني الذي لارأفة في قلبة ولا رحمة .

وانتقد أحمد الجامعة العربية بنسق حكاية رمزية في قصيدة "حديقة الحيوان" فيروي لنا الحالة المأسوية: «في جهةٍ ما /من هذي الكرة الأرضية /قفصٌ عصريٌ لوحوشِ الغاب /.. /فيه قِرودٌ أفريقية /رُبطت في أطواق صهيونية /ترقصُ طولَ اليومِ على الألحان الأمريكية /.../فيه نِمورٌ جمهوريّة /وضباعٌ ديمقراطية /وخفافيش دُستورية /... /قفصٌ عصريٌ لوحوشِ الغاب /لا يُسمحُ للإنسانية /أن تدخُلَهُ /فلقد كتبوا فوق الباب /جامعةُ الدولِ العربيّة »(مطر ،٢٠١١ :٧٤). الفابل أو الحكايات الرمزية هي قصة مقتضبة على لسان الحيوان لتبيين درس أخلاقي أو إيصال فكرة لأسباب يعدل المرسل عن الصراحة خوفا من تفتيش العقيدة لكن أحمد سخر في هذه الحكاية الرمزية من الجامعة العربية وصورها بغابة وحوش يأكل القوي فيها الضعيف ، ويستطرد مرة أخرى إلى الصهائنة وأطواقهم في رقاب القرود الأفريقية قاصدا سلاطين تلك القارة فالطوق يدل على الفكرة التي يدسها الإسرائيلي في أدمغتهم وهي رسائل وعقائد تفرق بين الفلسطيني والعربي وبهذه أثار فتنته بينهم فهذه الصورة السلبية تليق بالآخر اليهودي الذي يلعب كجمباز على حبال الفتن ، لأن ما جرى على على الساحة حفز مطر ، فهو رأى بأم عينه الديستوبيا على خارطه الوطن خلافا لليوتوبيا التي كان يحلم بها.

في التسعينيات من القرن المنصرم حاصرت الولايات المتحدة وائتلاف الغرب بلاد الرافدين وجرت الويلات على العراق والأمة الأسلامية وأشاعت نوع من الفوبيا والتخويف من الأنا المسلمة فيلتمس أحمد في هذه الأثناء "وسائل النجاة" قائلا: «وقاذفات الغرب فوقي/وحصار الغرب حولي /وكلاب الغرب دوني /ساعدوني ما الذي يمكن أن أفعل /.../لم تزل تؤمن بالإسلام /كلا فالنصارى نصّروني /ثم لما اكتشفوا سر ختاني هودوني /واليهود اختبروني ثم لما اكتشفوا طيبة قلبي /جعلوا ديني ديوني /أيّ إسلام؟ /أنا نَصرَا يهُوني /لا يزال اسمك طه /لا لقد أصبحت جوني» (مطر ،٢٠١١ :١٩٣). كثير من المفسرين يحللون سبب هذه الويلات التي جرت على العراق ترجع أصولها للفتنة الصهيونية ، لأن هناك دعما من العراق للقضية الفلسطينية خاصة في حرب الخليج في ١٨ يناير١٩٩١م حينما ضرب العراق بـ ٣٩ صاروخا من طراز سكود المطور على أهداف عسكرية ومنشات حيوية للعدو الاسرائيلي بمدينتي حيفا وتل أبيب ، فلهذا قامت الفتنة اليهودية ضد هذه القضية وأثارت الجدل بدعم الولايات المتحدة حتى دمروا هوية المسلم فأحمد مطر يرسم هذه الصورة السلبية حينما قامت الفتنة اليهودية بتأثيرها على النصرانيين حتى اصطلح أحمد نصرايهوني دالا على هذه الحالة المأساوية ومصورا بشاعة الإسرائيلي الذي فتن الكون كي يكون هو الصادح الوحيد على أشجار الزيتون.

هزيمة المنتصر تكون في كثير من الأحيان بمساعدة الأيادي الخائنة التي تساعد الظالم وترش على جراح المظلوم ملحا كي لا يندمل فالشاعر في هذه الأجواء يصرخ: «لو منحونا الالسِنَةْ /لو سالمونا ساعَةً واحِدةً كلّ سَنَةْ /لو وهبونا فسحةَ الوقتِ بضيقِ الأمكنَةْ /.../لحَقّقوا انتصارَهمْ /في لحظةٍ واحِدَةٍ /على دُعاةِ الصّهيَنَةْ /أقولُ: (لو) /لكنّ (لو) تقولُ: (لا) /لوحقّقوا انتصارَهُمْ..لانهَزَموا /لأنَّهُم أنفُسَهم صَهاينَةْ!»(مطر ،٢٠١١ :٢٨٠). يطلب مطر ألسنة تدافع عن الحق والوطن المفقود لكن حينما يكون السلطان بيد الآخر الصهيوني الذي بث فتنته في رأس هرم السلطة حتى صار أحد دعاتهم ، فهنا تعم الفتنة ويفقد الأمل في هذا الوطن الذي ذبح بأفكار صهيونية على أيادي عربية متمسكة بالكرسي وطاعنة بأي نفس ، فهذه الصورة تبين البعد المأساوي للأنا وتجلي الفتنة المشتولة من جانب الآخر اليهودي ، فما تبقي من كلمات إلا ألفاظ التمني والتوجع والتحسر التي يكررها الشاعر ، فهذه الأوضاع المتردية حثت أحمد أن يثور على الأنا ويترجم صورة الظلم والتعسف والخيانة لحكام بلاده على طابع الأخر اليهودي المنتصر بفتنته والمفرق بين المواطن والحاكم.

وتارة أخرى يسخر مطر من تلاحم إسرائيل والسلطة وضعف الثورة فلا يدري ما هي الحقيقة ، فيعلن موقفة بحكاية سخرية: «أول مرة ../الكلبة تضحك للهرة /والهرة تضحك للفأرة /والفأرة تضحك باكية /من ضحك قوانين الفطرة ! /بعد استنفاد الضحكات /يجلسن معا ملتحمات! /عهد مسرة ../الكلبة في حضن السيد /والهرة في بطن الكلبة /والفأرة في بطن الهرة! /إسرائيلُ /ودولة بواسٍ /والثورة! »(مطر ،٢٠١١ :٢٠٨). هنا يختلط الحابل بالنابل وتضيع الثورة لضعفها لأن السلطان مساعدا للأخر والرابح هو اليهودي الذين فتن بينهما كي يصل لغاياته الاحتلالية وهذه الدروس التي تأخذها إسرائيل من الآخر الغربي هي التي كبتت حريات العربي حتى بقيت القدس شعارا يستخدمونها لغايات تحريضية تخدم المصالح الأجنبية ، فالباعث على هذه الصورة هو الواقع العربي لأن إسرائيل أصبحت قدرة عظمى في المنطقة والحكام ينصبون بقرارات غربية وتكتب سياساتهم خارج البلاد وما عليهم إلا العمل بها ، فالثوار المطالبين بتحرير القدس لن تكون لديهم قدرات في مواجهة المتحل. فرسم أحمد في لافتاته وسائر أشعاره صور كثيرة للفتنة اليهودية على جميع الأصعدة لكن ما نجده بصورة عامة هو أن إسرائيل لن تفتن الأنا إلا وهناك كانت أيادي عربية أو غربية تساعدها حتى تضع حواجز بين الثوار والحكام فهي تتحرك بين هذه الحواجز وتطعمها بعينات مبرمجة تساعدها على فرض سلطتها.

٢.١. صورة إيجابية

العنف بأي شكل يظهر ومن أي شخص يصدر منبوذ ولو كان هذا الشخص في قائمة طاقم الأنا ، هناك فئات متشددة في العالم تعد غدد سرطانية تزرع الحقد والإرهاب في العقول والحقول لأن حياتها تكمن في ممات الآخرين وأي إنسان ذات فطرة إلهية ينزعج من الويلات التي تخلفها هذه المجموعات الدراجة الناس على حساب عقائدها لا عقائد الحق فلهذا يتصدى لها أحمد في "الغزاة": «الأصوليونَ قومٌ..لايحبون المحبة! /ملأوا الأوطان بالإرهاب؛../حتى امتلأ الإرهاب رهبة!! /ويلَهم ..! /.../الأصوليون آذونا كثيراً /وافترَوْا جداً /ولم يُبقوا على الدولة هيبة!! /فبحق الأب والابن وروح القدس /وكريشنا /وبوذا /ويهوذا /تبّ على دولتنا منهم /ولا تقبل لهم ياربّ توبة !!!»(مطر ،٢٠١١ :٢١٥-٢١٧). يلجأ أحمد من الأصوليين الذين ملؤوا الأرض إرهابا إلى الثالوث المسيحي المتجلي في ثلاثة أقانيم: الأب والابن وروح القدس ومن ثم إلى كريشنا آلهة الديانة الهندوسية ، تعبده طائفة من الهندوسية ثم بوذا وهو سيدهارتا غوتاما مؤسس الديانة أو الفلسفة البوذية لكن المدهش حينما التجأ إلى يهوذا خلافا لملامح تلك الصور السلبية التي رسمها لقومه فيهوذا «رابع أبناء يعقوب ولينة والاسم يعني «الشكر لله» وقدكان يهودا هو الذي اقترح على إخوته ألا يذبحوا يوسف وأن يكتفوا ببيعه ، كما كان قائد رحلة أسرة يوسف إلى مصر. تزوج يهودا امرأة كنعانية ، وتنسب إليه أكبر قبائل العبذانيين وأهمها ، وهي قبيلة داود التي سيأتي منها الماشيح وشعارها الأسد ، ومن هنا يقال «أسد يهودا» وقد سُمّي كل العبرانيين «اليهود» نسبة إلى هذه القبيلة»(المسيري ،١٩٩٩ : ١٤٥/٤). وسمي باسمه دين اليهودية حيث أنه جد الأنبياء داود وسليمان والمسيح فهذه الصورة الإيجابية التي يرسمها أحمد للآخر اليهودي محفزة من عمق معرفته في مجال تفصيل الحق عن الباطل واتباعه للحق ولو

كان في عقر دار عدوه ففي هذه الصورة عمت الإيجابية من اليهودي نحو المسيحيين والبوذيين واستخدام كلمة «بحق» قبل ذكر هذه الأسماء دالة على أن أحمد يفضل حقيقتهم على حقيقة الأصوليين الذين طعموا الإرهاب برا وبحرا.

ويناجي الشاعر ربه في "خارج السراب" طالبا العفو من ربه للإرهاقات التي سببها لأقرانه لأن طبعه يأنف السرور للأجواء التي تسيطر على وجدانه في هذه المناجات يتطرق مطر لإحدى الشخصيات الشعبية للآخر اليهودي وهي شخصية شمشون ذلك البطل الذي جاء ذكره في الثالث عشر حتي السادس عشر من كتاب سفر القضاة هو سابع أسفار التناخ من الكتاب المقدس في الديانة اليهودية والعهد القديم في المسيحية فـ«شمشون اسم عبري وهو تصغير لكلمة «شمس» ، وهو اسم لشخص يشار إليه أحيانا بأنه آخر القضاة ، فقد كان قاضيا من قبيلة دان مدة عشرين سنة ، لكن الكتب الدينية تشير إلى صموئيل أيضا باعتباره آخر القضاة. وتحمل قصة شمشون عناصر عجائبية كثيرة»(المسيري ،١٩٩٩ : ١٤٧/٤). ظُلم هذا البطل في حياته وأخذوا زوجته منه ونُفي عن بلاده وأفقعوا عينيه واستهزؤوا به فضمن أحمد قصته في شعره صادحا: «رب سامحني ../فقد أرهقت أقراني مليا /لم يدع طبعي سرورا ظاهرا فيهم /ولم يترك لهم سرا خفيا / إن طبعي مثل طبع الشوك../.../وأنا كالخنجر المحمي /إذا ما أفتحُ الجُرحَ؟ أريدُ الجرح كيا؟ /وأنا (شمشونُ)/ ماهدُّمت ، يوما معبداً/ إلا عليهم .. وعليا.؟يخرسونَ الذَّنب في أعماقهم/ لكنَّ صوتي/ يمنحُ الذَّنبَ دَويا!..»(مطر ،٢٠١١ :٢٧٩-٢٨٠). قصة شمشون هي جزء من الموروث الشعبي اليهودي وربما العالمي لأن آفاق الأدب تتخطى الحدود وتهدف هذه القصة إلى إرضاء النفوس وتعويضها مما حل بها «كما أن النهاية المزدوجة للقصة ذاتها (الانتحار والقتل) تعبير عن أحلام المسحوقين في الانفجار الأخير قد يقضي على الذات ولكنه يقضي على الآخر»(المسيري ،١٩٩٩ : ١٤٨/٤). فشبه أحمد نفسه بشمشون موظفا التشبيه البليغ الذي هو آية التشبيهات وأسماها دالا على الوفاق التام بينهما ولوكان شمشون بطل من أبطال الآخر اليهودي وهذا التمني الظاهر من هذا التشبيه يدل على ثقافة الشاعر وسلامة تفكره وصدق تعبيره في رسم الصور للآخر اليهودي وتعد من أجمل الصور الإيجابيه التي يمكن لشاعر مناضل يرسمها لعدوه ، لأن بينهما نوع من الوفاق في النفي والنبذ من قبل حكامهما وجهالة شعبهما إضافة إلى النهاية المأساوية لهما عند نهاية الطريق ، فهذه البواعث خير دليل لتوضيف شمشون في شعره.

في " أقزام طوال" مرة أخرى يرسم بريشته لوحة فنية إيجابية للآخر اليهودي عند رسم ملامح النبي موسي (ع) ، فحسب التوراة وهي أقدم مرجع معروف عن موسى ، هو نبي وقائد خروج بني إسرائيل من مصر أرض العبودية ومنجيهم من ظلم آل فرعون وله آيات عظام فهو كليم الله: «وموسى فلق البحر بأشلاء العيال /ولدى فرعون قد حط الرحال /ثم ألقى الآية الكبرى /يدا بيضاء..من ذُلِّ السؤالْ! /أفلح السحر /فها نحن بيافا نزرع(القات) /ومن صنعاء نجني البرتقالْ!»(مطر ،٢٠١١ :٧٥). إن هذه الصورة الإيجابية للنبي موسي(ع) ليست مفاجئة من قبل الشاعر لأنه مسلم في عقيدته ولسانه وأخذ معارفه الإنسانية من معين ماء السيرة النبوية وتعاليمها الإلهية ، لأن الأديان السماوية عند المسلم هي من الله ورُسُله دعاة الحق فما ينطقون عن الهوى فانتقاهم الله من خاصة أوليائه وما جاء به الإسلام إلّا «جامعا ومتوّجا للنبوات والرسالات التي سبقته. ولقد أثبتت الأناجيل قول المسيح لأصحابه: «ما جئت لأنقص الناموس ولكن جئت لأكمله». كذلك أثبت القرآن إيمان المسلمين بإبراهيم وموسى وعيسى والنبيين من قبل. وإنما جاء الإسلام مكملا لما أرسلهم الله به ، مصححا لما حدث من تحريف أتباعهم الكلم عن مواضعه»(هيكل ،لا :٥٦٠). هذه الصورة الإيجابية تخرج من معتقد أحمد مطر ونقاء تعاليمه واحترامه للآخر ولو كان يهوديا لكن شتان ما بين بين الثرى والثُريا وبين نبي الله موسى (ع) والصهاينة ، فهذه تعد صرخة أمام العقول الواعية في العالم واثبات صحة معتقد أحمد على مستوى الإنساني فهو يريد أن يخاطب بهذه الصورة العقول المنورة ويرسم حدود اليهودية الحقيقية كدين مقابل الهيودية الصهيونية كتيار سياسي إرهابي.

يصور أحمد مطر صورة الشارع الفلسطيني في قصيدة "انتفاضة" مع صورة الآخر اليهودي من حيث التقنيات والقدرات المادية التي يتمتع بها الإسرائيلي ويفتدها الفلسطيني فيكون هذا قياس مع الفارق: «...ليسَ لهم أرديَةٌ /من(سانِ لورانَ) /ومِن(بيار كاردانَ) /ولا فنادقٌ /منْ جلدِ سُكّان الحُفَرْ /إرمِ الحَجَرْ /ليسَ لديهم ثروةٌ عِبريّةٌ /أو ثورةٌ عُذريّةٌ /أو دولةٌ /للإصطيافِ والسَفَرْ /دولتهمْ من حَجَرٍ /وتُستعادُ بالحَجَرْ /إرمِ الحَجَرْ /إرم الحَجَرْ / عاصفةٌ من حجرٍ تصفعُ هاماتِ

الشَجَر /تندلعُ الأطيارُ في آفاقِها /و تَذهَلُ الأشجارُ عن أوراقِها»(مطر ،۲۰۱۱ :۳۱۹). فهذه الصورة البائسة للأنا تنقضها صورية الآخر اليهودي ، فالمعروف عن اليهود هم قوم أثرياء ذات رؤوس أموال في شتى المصارف العالمية والأسواق الأجنبية ولهم إمبراطورية في هذا المجال فلا تخفى هذه الصورة عن أحمد ويشيد بها ولربما هو يستخدم السخرية من زاوية أخرى لكنه نفسيا يعترف بالثروة اليهودية ويتمناها للأنا لأن «يترافق التفضيل الإيجابي للأجنبي مع عقد نقص تعاني منها الذات تجاه ثقافة الآخر»(حمود ،۲۰۰۰ :۱۲۱). فالعالم الحالي عالم يتماشى مع الأثرياء لأن القوى الكبرى التي قسمت العالم كرقعة شطرنج تحرك القطع كما تشاء والثروة تعطي حافزا هاما لنمو هذه اللعبة كما ساعدت الآخر اليهودي على مر العصور ، فهو لا ينكر ثروتهم ويتمنى تكون هذه الصورة الإيجابية المتجلية في الثروة لدى الفلسطينين. البارز عامة في الصورة الإيجابية عند أحمد مطر هي لاتخرج عن إطار الحق ومنتقية من الآفاق الثقافية الإنسانية والإسلامية الصحيحة فلا عيب على شاعر يمجد بأبطال حقيقين من طاقم الآخر اليهودي لأنه يفرق بين اليهودية كدين والإسرائيلية كجنسية واليهودية الصهيونية كمحتلة ، فهذه الصور الإيجابية بداية ، دالة على الكوامن النفسية لأحمد الذي رسمها بريشته على لوحة الآخر اليهودي.

النتائج

فبعد رحلة بحثية في رحاب صورة للآخر في إنتاج أحمد مطر رست خاتمة البحث بالنتائج الآتية:

طغت الصورة السلبية على الصورة الإيجابية في اللفظ والمدلول فرسم الآخر اليهودي في صور منها؛ صورة محقرة تجلت الحقارة عند تصغير الألفاظ ، كالدُويلة اللقيطة أو استخدام أسماء الحيوانات الضعيفة النملة ، وفي صورة القاتل رصد الشاعر ظلمهم وقتلهم للأنا حينما يوظفون الدين كسلاح ، ساخرا أحمد في صورة ملئية من الغلو من طبعهم القتّال الذي يصل لحالة لن يكون مفرا لعزرائيل من براثنهم ، مصورا بلادهم بمدرسة تعلم طلابها أبجدية القتل وحذف الآخر ، وفي صورة العدو الغاصب وسع نظرته حيث احتلاله لن يتقيد بالزمان الماضي أو على خريطة العالم بل تجاوز ذلك ، وأيضا أضاف إلى جانب اليهود الأنا الحاكمة الغاصبة كأنما هناك اتفاقية ضمنية بين المحتل اليهودي لأرض القدس مع المحتل العربي للأوطان العربية في كبت الحريات والرقابة المكثفة فشرع الاحتلال من القبلة الأولي حتى القلبة الأخرى ، وفي صورة فتنة رجع أحمد جذور كل فتنة تقع في العالم لهم بصورة استغراقية عامة وأيضا عملت فتنتهم على التفريق بين الفلسطيني والعربي وبين الحاكم والشعب واضعا السلطان بيد الآخر الصهيوني ، وفي الصورة الإيجابية طغى الموروث التاريخي والديني تاركا الشخصيات الحالية ومادحا التاريخية ، تجلت هذه الصورة في رسم ملامح النبي موسي (ع) والبطل شمشون ويهوذا.

أما بؤرة حوافز الصور السلبية بعضها ترجع للآخر اليهودي وبعضها للأنا العربي ، فالآخر احتل وطن الأنا وزاد على الطين بلّة بأعمالة الإجرامية والمجازر الوحشية ، إضافه لذلك طغت على خطاباته لغة التكبر والإرهاب بينما نجد الأنا متخاذلة ومتشتتة في قراراتها ورأس القدرة لا يمتك ثغور بلاده فكيف يمكنه أن يدافع عن القضية الفلسطينية ، فأحمد خاب ظنه وأحس بشعور كامن في لاشعوره رآه عند الآخر في مواجهة الأنا ، مع عقدة نقص عانت منها الذات تجاه الآخر فعبر بصور في ذم الحكام وطلب من الأنا لمواجهة المحتل لكن ما يختص بحافز الصور الإيجابية هي خرجت من معتقد أحمد ونقاء تعاليمه فهي بصمات ثقافية مطرية إسلامية أنسانية حقيقية تأيد ما يجول في خاطره وتبين فهمه الصحيح بين اليهودية الإرهابية واليهودية السماوية ، فوضفها لخروج اليهودية السماوية عن الإرهابية.

المصادر

إبراهيم ،عبدالحميد.١٩٩٧ ، *الأدب المقارن من منظور الأدب العربي* ،ط ١ ، القاهرة ، دار الشروق.

أوس ،داوود يعقوب.٢٠١٠ ، أحمد مطر ، *سيرة شاعر انتحاري* ،ط١. دمشق ، صفحات للدراسات والنشر.

باجو ، دانيال هنري. ١٩٩٧ ، *الأدب العام والمقارن* ، ترجمة غسان السيد ، دمشق ، منشورات اتحاد الكتاب العرب.

تاكفراست ، بشرى عبدالمجيد. ٢٠١٧ ، *جمالية السخرية في شعر أحمد مطر*(دراسة أسلوبية) ، بغداد ، مجلة مداد الآداب ،عدد١٢.

الحربي ، صالح بن عويد. ١٤٤١ ،دراسات صورة الآخر في الأدب العربي وأثر إدوارد سعيد ، مجلة *جامعة طيبة*: للآداب والعلوم الإنسانية ، السنة السابعة ، العدد ٢٠.

حمود ، ماجدة. ١٩٩٧ ،*علاقة النقد بالإبداع الأدبي* ،ط١ ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة.

حمود ، ماجدة. ٢٠١١ ، صورة الآخر في ألف ليلة وليلة ، مجلة *جامعة دمشق* ،المجلد ٢٧،العدد الأول+الثاني.

حمود ، ماجدة. ٢٠٠٠ ، *مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن* ،ط١ ، دمشق ، اتحاد كتاب العرب.

الخير ،هاني. ٢٠١٢ ،*موسوعة أعلام الشعر العربي الحديث*(أحمد مطر شاعر المنفى واللحظة الحارقة) ،ط١ ، دمشق ،دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع.

سعيد ،جلال الدين. ٢٠٠٤ ،*معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية* ، ط ،١ ، تونس ، دار الجنوب للنشر.

زيتوني ،لطيف. ٢٠٠٢ ،*معجم مصطلحات نقد الرواية* ، ط ،١ ، لبنان ، دار النهار للنشر.

عبود ، عبده. ١٩٩٢ ،*الأدب المقارن*(منهج نظري ودراسات تطبيقية) ، منشورات جامعة البعث ، حمص.

فتحي دهكردي ، صادق ، عليرضا محمد رضائي ، ناصرقاسمي(٢٠٢٠). أشكال التعبير عن الواقعية السياسية في شعر أحمد مطر ، مجلة *اللغة العربية وآدابها* ، قم ، العدد الأول ، المجلد السادس عشر ، ص ١٦١-١٨٤.

فرويد ،سيجموند ، ١٩٨٢ ،*الأنا و الهو*، ترجمة :الدكتور محمد عثمان نجاتي ، ط ٤ ،بيروت ، دار الشرق.

كاظم ،نادر. ٢٠٠٤ ،*تمثيلات الآخر*(صورة السود في المتخيل العربي الوسيط) ، ط١ ،بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

المسيري ، عبدالوهاب محمد وفتحي التريكي. ٢٠١٠ ، *الحداثة ومابعد الحداثة* (حوارات القرن الجديد) ، ط٢ ،دمشق ، دارالفكر.

المسيري ، عبدالوهاب محمد. ١٩٩٩ ،*موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية* (نموذج تفسيري جديد) ،ج ٤ ، ط١ ،القاهرة ، دارالشروق.

مطر ،أحمد. ٢٠١١ ،*المجموعة الشعرية* ، ط١ ، بيروت ، دار الحرية.

محمداه ، وجدان يحيى. ٢٠١١ ، *الأدب المقارن في سورية*(اتجاهاته وقضاياه ١٩٧٠-٢٠٠٠) ، رسالة دكتوراه ، سوريا ، جامعة البعث.

المعلوش ،سالم.لا ، *صورة الغرب في الرواية العربية* ، ط١ ،بيروت ، مؤسسة الرحاب الحديثة ،.

هيكل ، محمد حسين.لا ، *حياة محمد* ، ط ١٤ ،القاهرة ، دارالمعارف.

هلال ، محمد غنيمي.لا ، *دور الأدب المقارن* (توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر) ، ط ١ ،القاهرة ، نهضة مصر للطباعة وللنشر والتوزيع.

Sources

Ibrahim, Abdel-Hamid, 1997, *Comparative Literature from the Perspective of Arabic Literature*, 1st Edition, Cairo, Dar Al-Shorouk.(In Arabic)

Aws, Dawood Yaqoub. 2010, *Ahmed Matar, Biography of a Suicidal Poet, 1st edition. Damascus*, pages for studies and publishing. (In Arabic)

Bago, Daniel Henry. 1997, *General and Comparative Literature*, translated by Ghassan Al-Sayed, Damascus, Publications of the Arab Writers Union. (In Arabic)

Takefrast, Bushra Abdel-Maguid. 2017, *The Aesthetic of Irony in the Poetry of Ahmad Matar (a stylistic study)*, Baghdad, Medad Al-Adab Magazine, No. 12. (In Arabic)

Al-Harbi, Saleh bin Owaid. 1441, Studies of the Image of the Other in Arabic Literature and the Impact of Edward Said, *Taibah University Journal: Arts and Humanities*, Seventh Year, No. 20 .(In Arabic)

Hammoud, Magda. 1997, *The Relationship of Criticism to Literary Creativity*, 1st edition, Damascus, Publications of the Ministry of Culture. (In Arabic)

Hammoud, Magda. 2011, The Image of the Other in One Thousand and One Nights (alfo hila va hila), *Damascus University Journal*, Volume 27, Issues One and Two. (In Arabic)

Hammoud, Magda. 2000, *Applied Approaches to Comparative Literature*, 1st edition, Damascus, Arab Writers Union. (In Arabic)

Al-Khair, Hani. 2012, *Encyclopedia of the Notables of Modern Arabic Poetry (Ahmed Matar, the poet of exile and the burning moment)*, 1st edition, Damascus, Dar Raslan for printing, publishing and distribution. (In Arabic)

Syed, Jalal Al-Din. 2004, *Dictionary of Philosophical Terms and Evidence*, 1st Edition, Tunis, Dar Al-Janoub Publishing House. (In Arabic)

zytuni,ltyfi. 2002, *Dictionary of Novel Criticism Terms*, 1st Edition, Lebanon, Dar Al-Nahar for Publishing. (In Arabic)

Abboud, Abdo. 1992, *Comparative Literature (Theoretical Approach and Applied Studies)*, Al-Baath University Publications, Homs. (In Arabic)

Fathi Dehkardi, Sadiq and others؛ (2020). Forms of Expression of Political Realism in Ahmad Matar's Poetry, *Journal of Arabic Language and Literature*, Qom, Issue One, Volume Sixteen, pp. 161-184. (In Arabic)

Freud, Sigmund, 1982, *The Ego and the Id*, Translated by: Dr. Muhammad Othman Najati, 4th Edition, Beirut, Dar Al Sharq. (In Arabic)

Kazem, Nader. 2004, *Representations of the Other* (the image of blacks in the mediated Arab imagination), 1st edition, Beirut, The Arab Institute for Studies and Publishing. (In Arabic)

Al-Masiri, Abdul-Wahhab Muhammad and Fathi Al-Triki. 2010, *Modernity and Postmodernism* (Dialogues of the New Century), 2nd Edition, Damascus, Dar Al-Fikr. (In Arabic)

Al-Masiri, Abdul Wahab Mohammed. 1999, *Encyclopedia of Jews, Jews and Zionism (New Interpretive Model)*, Vol. 4, P. 1, Cairo, Dar al-Sharwq. (In Arabic)

Matar, Ahmed. 2011, *The Poetry Collection*, 1st edition, Beirut, Dar Al-Huriya. (In Arabic)

Mohammadah, Wejdan Yahya. 2011, *Comparative Literature in Syria (its trends and issues 1970-2000)*, PhD thesis, Syria, Al-Baath University. (In Arabic)

Al-Maaloush, Salem.No date, *The Image of the West in the Arabic Novel*, 1st edition, Beirut, Al-Rehab Modern Foundation. (In Arabic)

Haykal, Mohammed Hussein. No date, *Hayat Mohammed*, 14th edition, Cairo, Dar al-Ma'arif. (In Arabic)

Hilal, Muhammad Ghoneimi. No date, *The Role of Comparative Literature (Direction of Contemporary Arabic Literature Studies)*, 1st Edition, Cairo, Nahdat Misr for Printing, Publishing and Distribution. (In Arabic)